

المنهج التداولي في الخطاب النقدي المعاصر

مقاربة حجاجية لشعر محمد العيد آل خليفة الإصلاحي و الثوري

أ. بولفاعة وافية

السنة الرابعة دكتوراه ، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة
أستاذة مؤقتة بالمركز الجامعي مرسلي عبد الله .

الملخص:

يعدّ المنهج التداولي من بين المناهج الحديثة التي هيمنت على الساحة النقدية واللسانية ، و الحجاج أحد الاستراتيجيات التداولية التي يتبنّاها المتكلم أثناء استعمال اللغة لأنّه يتعلّق بالهدف من هذا الاستعمال و هو الإقناع ، رغم أنّ المنهج التداولي وبخاصة الحجاجي منه قد قطع أشواطاً متقدّمة في حقلها النقدي الغربي على المستويين النظري و التطبيقي إلا أنّه في خطابنا النقدي لا يزال في بداياته ، و من تمثله من النقاد العرب فقد اقتصر على التّقي النظري له ، و قلما انتقل إلى شقّه التطبيقي . ممّا ولّد غموضاً في قراءة هذا المنهج ، لذا سنحاول تقديم دراسة نقدية تطبيقية نقارب فيها نماذج من شعر محمد العيد آل خليفة مقاربة تداولية حجاجية لتقريبها من الباحث الجامعي و فك الغموض الذي قد يشوب هذا المنهج في ذهنه .

الكلمات المفتاحية : التداولية - الحجاج - الشعر - محمد العيد آل خليفة.

Le Résumé :

La méthode pragmatique est l'une des méthodes modernes qui a tant dominé la scène critique et linguistique, et l'argumentation est une stratégie où l'orateur adopte le pragmatisme pour convaincre l'autre.

Malgré la méthode pragmatique notamment l'argumentation a pris pas dans le domaine critique occidentale théoriquement et pratiquement, qu'elle traîne encore chez les arabes (il n'y a que de la théorie) D'où l'ambiguïté s'installe.

Ainsi, on va mener une étude critique dans un cadre pratique ou prendre quelques poèmes de Mohamed El Aïd El Khalifa comme exemples afin que le chercheur universitaire comprenne.

تعدّ المناهج النقدية المعاصرة من الأهمية بمكان إن صارت تستشعر كنه الأدب و اللغة بما يقارب المفهوم العلمي ، باعتبارها وسائل و أدوات مساعدة على سبر أغوار الظاهرة الأدبية ، و المنهج التداولي أحد هذه المناهج الحداثية الذي أعاد الاعتبار للكلام من حيث هو مجال يتيح الدراسة الملموسة للغة بعدما أقصي من دائرة علم اللسان . إذ ركّز اهتمامه على واقع استعمال اللغة داخل محيط إنجاري يتضمّن مرسلًا و متلقيًا و خطابًا ، وذلك في إطار سياق يتحدّد من خلال العوامل اللغوية و غير اللغوية المحيطة بعملية إنتاج الكلام و بالتأثيرات التي يحدثها على المتلقي ، وإن كان المنهج التداولي قد نشأ من الناحية الفلسفية لدراسة الخطاب اليومي و اللغة العادية فإنّه اليوم استطاع أن يوسّع من مجال اهتمامه ليشمل تحليل الخطاب الأدبي و يعمل على تطوير مفاهيمه النظرية و أدواته التحليلية ليوائم هذا الاستخدام المخصوص للغة ، و قد تناوله بأنواع متعدّدة من الاستراتيجيات الخطابية ، و من هذه الاستراتيجيات التي يتبنّاها المرسل (الأديب) أثناء استعماله للغة و الذي يبرز الجانب التداولي لها إستراتيجية الإقناع لأنّ من الأهداف التي يرمي إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه (القارئ) ، و لتحقيق هذا الهدف يتبنّى استراتيجية تداولية تعرف بالحجاج و الذي يرجع إليه باعتباره آلية تداولية نفّذ بها الآخر .

بالرغم من أنّ المنهج التداولي عرف انتشارًا واسعًا في حقله النقدي الغربي تنظيرًا و تطبيقًا، إلا أنّه ما زال في بداياته الأولى في العالم العربي ، على الرغم من وجود آثاره في تراثنا العربي القديم . و لم يتم استدماجه بعد في حقلنا النقدي العربي المعاصر لمقاربة النصوص و الخطابات الأدبية ، ماعدا بعض الاستثناءات القليلة التي تعدّ على الأصابع . و لسدّ هذا النقص في التطبيق سنحاول تقديم دراسة نقدية تطبيقية لنص عربي شعري متوسّلين بالآليات الإجرائية للمنهج التداولي ، و قد وقع اختيارنا على شعر محمد العيد آل خليفة كنموذج لتطبيق هذا المنهج بالتركيز على بعده الحجاجي و الإقناعي لكونه شاعر الإصلاح و الثورة ، أسهم في الحركات الإصلاحية و عاش مأساة الجزائريين إبّان الاحتلال الفرنسي ، و بما أن الشعر الإصلاحي و الثوري خطاب أدبي موجّه قصد ترسيخ قيم معيّنة و بثّ الحماس و تقوية العزيمة فإنّ شعره محمّل بطاقة إقناعية يمكن رصدها بتطبيق آليات المنهج التداولي التي نسعى من خلالها إلى استجلاء أهم المقاصد الحجاجية التي يريد الشاعر إرساءها لدى المتلقي .

و يمكن إضاءة زوايا هذه الدراسة بطرح مجموعة من الأسئلة أهمّها :

- ما مفهوم التداولية و ما سياق ظهورها في الخطاب النقدي المعاصر ؟
- أين يتموقع الحجاج في اللسانيات التداولية ؟
- و ما هي آلياته التي تسمح باستقراء الطاقة الحجاجية الإقناعية في شعر محمد العيد آل خليفة

- مفهوم التداولية :

تعتبر التداولية مجموعة من النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات و متفقة على أنّ اللغة نشاط يمارس ضمن سياق متعدّد الأبعاد ، و لقد نشأت كردّ فعل على المنهج البنيوي الذي أبعد الكلام - و هو الذي يمثل الاستعمال الحقيقي للغة - من دائرة اهتمامه و اقتصر دراسته على بنية اللغة و نظامها ، و انطلاقاً من هذا نجد تعريفات متعدّدة خاصّة بالتداولية . ففي معجم اللسانيات و علوم اللغة يرى جون ديبوا (Jean Dubois) : " أنّ الجانب التّداولي للغة يتعلّق بخصوصيات استعماله (الحوافز النفسية للمتكلّمين ، ردّة فعل المخاطبين الطابع الاجتماعي للخطاب ، موضوع الخطاب) مقابل الجانب التركيبي (الخواص الشكلية للأبنية اللغوية) و الدّلالي (العلاقة بين الوحدات اللسانية و العالم)¹

يعرّفها دومينيك مانغونو (Dominique Maingueneau) بقوله : " التداولية هي النظام الذي يدرس كيفية وضع عبارة ما ضمن سياقها فهي تهتم خاصّة بالعلاقات التي تقوم بين الأفراد المتخاطبين عبر عملية التعبير و بالعمليات التي يستخدمها المخاطب من أجل تعيين تفسير ما لعبارة ما داخل سياق محدّد" ² أما فرانسواز أرمينيكو (Françoise Armingaud) فتسوق بعض التعريفات للتداولية حيث تقول بأنّ أقدم تعريف لها هو تعريف تشارل موريس (Charles Morris) الذي يرى : " أنّ التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات و مستعملي هذه العلامات " ³

و عند آن ماري ديلر (Anne Marie Diller و فرانسوا ريكاناتي) François Récanati (فالتداولية هي: " دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية" ⁴ ، ويفصّل فرانسيس جاك (Jacques Francis) في تعريفه للتداولية بأنّها تتطرّق إلى اللغة " كظاهرة خطابية و تواصلية و اجتماعية معا " ⁵ و تكمن وظيفة التداولية كما ذهبت إلى ذلك أوركينيوني (Orécchioni) في استخلاص العمليات التي تمكّن الكلام من التّجذّر في إطاره الذي يشكل الثلاثية الآتية : المرسل ، المتلقي ، و الوضعية التبليغية ، إنّ أي تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التّحديد الضمني للسياق الذي تؤوّل فيه الجملة. ⁶ وقد تعددت تحديدات التداولية ⁷ فمنهم من يرى أنّ التداولية هي " أقوال تتحوّل إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية بمجرد التلفظ بها " ومنهم من يلخص التداولية في " دراسة الآثار اللغوية التي تظهر من خلال الخطاب و تنتظر في عنصر الذاتية للخطاب "، و هناك اتجاه ينظر في " الجانب الضمني و التلمحي و كذا الحجاجي للكلام "

فالتداولية إذن دراسة اللغة قيد الاستعمال تراعى فيه العناصر الآتية:

- طرفا الخطاب (المرسل و المتلقي)
- سياق الخطاب
- القصد من الخطاب و هدفه.

وقد أثرنا عرض بعض المفاهيم الآتية التي تركز عليها التداولية والتي تقوم عليها هذه الدراسة:

- فعل الكلام: و هو متعلّق بإنجاز الكلام، باعتبار أنّ اللغة لا تتجلى في كونها تمثيلاً للعالم، بل هي نشاط عملي يسعى إلى تحويل العناصر اللغوية من إصدارات صوتية إلى أفعال لها وظيفتها الاجتماعية فـ: " الكلام بدون شك هو تبادل للمعلومات و لكنه أيضاً تحقيق لأفعال مرّت وفق مجموعة من القواعد من شأنها تغيير وضعية المتلقي و تغيير منظومة معتقداته ووضعه السلوكي و يترتب على ذلك أنّ فهم قول معيّن يعني التعريف بمحتواه الاجتماعي و توجّهه التداولي أي قيمته و قوّته الكلامية " ⁸.

- القصد: تقف المقاصد بشكل عام وراء كلّ ما يقوم به الإنسان من أفعال و تصرفات من أجل الوصول إلى أغراض أو أهداف محدّدة فقد " يتردّد الإنسان في إطلاق صفة الفعل على الشيء إذا لم يكن نتيجة لقصد الفاعل ، و عليه فلا يسمى الفعل فعلاً ما لم يصحبه قصد ... ولا ريب أنّ كل فعل من هذه الأفعال يأتي لتحقيق هدف معيّن " ⁹ ، كما يقتضي الوصول إلى معرفة القصد إدراك جميع العناصر السياقية التي ورد فيها حيث : «يرتكز دور المقاصد بوجه عام على بلورة المعنى كما هو عند المرسل إذ يستلزم منه مراعاة العناصر السياقية لأخرى ، و تكمن وظيفة اللغة هنا في تحقيق التفاعل بين طرفي الخطاب ، بما يناسب السياق بمجمله فتتضح المقاصد بمعرفة عناصره " ¹⁰.

- الحجاج: إذا كان المرسل يسعى من خلال توجيه الكلام إلى المتلقي لتحقيق أفعال من شأنها أن تغيّر وضعيته و تغيّر منظومة معتقداته ووضعه السلوكي، فهذا يعني أنّ هناك مسؤولية تقع على عاتق هذا المرسل من أجل تحقيق عملية التأثير اللازمة، وهذه المسؤولية تتمثل في تبنيه لإستراتيجية الإقناع، أي كيفية الوصول إلى إقناع المتلقي بوجهة نظر المرسل و هو ما يسمى بالحجاج.

و لا يخرج الحجاج كمفهوم تداولي عن إطاره الوظيفي، حيث أنّ لكلّ أفعال التلّفظ وظيفة حجاجية تؤدي إلى حمل المستمع إلى نوع من الاستنتاج و ربّما تحريفه عنه، وظيفة تظهر في بنية الجملة ذاتها ¹¹.

و تذهب معظم التعاريف الاصطلاحية إلى أنّ الحجاج عبارة عن علاقة تخاطبية بين المتكلم و المستمع حول قضية ما، متكلم يدعم قوله بالحجج و البراهين لإقناع الغير، و المستمع له حق الاعتراض عليه إن لم يقتنع ولذلك يعرف " طه عبد الرحمن " الحجاج على «أنه كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها » ¹².

إن هدف الحجاج هو هدف إقناعي وهو ما ذهب إليه "عبد الهادي بن ظافر الشهري" حيث عرّف الحجاج بربطه بالإقناع فيقول: " الحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها و تتجسد عبرها إستراتيجية الإقناع " ¹⁴.

و من المؤكد أن ليس كل خطاب بالضرورة خطابا حجاجيا يهدف إلى الإقناع أو التأثير في المتلقي ، فهناك بعض الخطابات لا يشكّل الحجاج هدفها الأساسي و المباشر ، ومن هنا فإنّ طه عبد الرحمن يميّز بين الخطاب الحجاجي و باقي الخطابات الأخرى بكونه خطابا مبنيا و موجّها و هادفا مبنيا بناءً استدلاليا يتم فيه اللجوء إلى الحجة و الاستدلال و المنطق و العقل و موجّها مسبقا بظروف تداولية تدعو إليها إكراهات قولية أو اجتماعية أو ثقافية أو علمية أو عملية أو سياسية تتطلب الدّفاع عن الرأي أو الانتصار لفكرة أو تتطلب نقاشا حجاجيا يلامس الحياة الاجتماعية أو المؤسساتية بهدف تعديل فكرة أو نقد أطروحة أو جلب اعتقاد أو دفع انتقاد¹⁴.

2- سياق ظهور التداولية في الخطاب النقدي المعاصر:

يعود استعمال التداولية إلى الفيلسوف الأمريكي " تشارلز موريس" (Charles Morris) الذي استخدمه سنة 1938 دالا على فرع من فروع ثلاثة للسيمائية و هي :¹⁵

- علم التراكييب: وهو يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها ببعض

- علم الدلالة: وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل إليها

- التداولية: وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمستعملها (المرسل والمتلقي) إلا أن التأريخ الفعلي لظهور التداولية في حقلها النقدي الغربي الحديث كان من خلال المحاضرات التي ألقاها " جون أوستين" (John Austin) في جامعة هارفارد سنة 1955 ، حيث نبّه فيها إلى أنّ وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات و التعبير عن الأفكار ، و أنها ليست مقيدة دائما بأن تحيل على واقع فتحتمل الصدق و الكذب و إنما القصد من الكلام هو" تبادل المعلومات مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته ممّا ينتج عنه تغيير في وضع المتلقي و تأثير في واقعه"¹⁶، بناءً على هذا فإنّ الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط بل إنجاز حدث اجتماعي معين في الوقت نفسه¹⁷ ، و هذا ما يسمى بفعل الكلام ففي حال تكلمنا ننجز شيئا ما أي أمرا ما يكون أوسع من مجرد التكلم و ما نعينه عادة بقولنا إنّنا نفعل شيئا ما متى صغنا عبارة معينة هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي كأن نعد وعدا ما ، ونطلب وننصح ...¹⁸

انطلق أوستين (Austin) في نظريته من رفضه لثنائية الصدق و الكذب بالنسبة لجمل الإثبات التي وضعها المنطقة الذين اعتبروا أنّ دور الإثبات ما هو إلا وصف لحال الأشياء ، و أنّ إثبات شيء معين لا يمكن له أن يخرج عن إطار الخطأ و الصواب ، إلا أن هناك مجموعة من الأقوال ظاهرها إثبات و هي في نظر أولئك المنطقة يمكن أن تخضع لمعيار الخطأ و الصواب ، ولكنّ مضمونها يعكس غير ذلك مثل تلك المستعملة في المناسبات الدينية و الاجتماعية و تقويم السلوك.

يرى أوستين (Austin) " أنه يوجد عدد كبير من العبارات اللغوية لا تستعمل فقط لوصف الواقع إن تحليل هذه العبارات انحرف منذ البداية بسبب تأثير النمط التمثيلي و الوهم الوصفي" ¹⁹.

لذا ميّز أوستين (Austin) بين نوعين من الأقوال :
أ- أقوال إخبارية: و هي تلك الأقوال التي تصف وقائع العالم الخارجي ، ويتم الحكم عليها بمعياري الصدق و الكذب

ب- أقوال إنجازية : و هي تلك الأقوال التي تتجز في ظروف ملائمة ، فلا تصف و لا تخبر و لا تمثل و لا هي خاضعة لمعيار الصدق و الكذب ، إنما ميزتها الأساسية أنّ التلفظ بها يساوي تحقيق فعل في الواقع ويتم الحكم عليه بمعياري التوفيق و الإخفاق. و ميّز أوستين بين نوعين منها ²⁰، فهناك أقوال إنجازية صريحة مباشرة فعلها ظاهر (أمر - حضّ - دعاء - نهي) الدال على زمن الحاضر و هو مرتبط بفاعل مفرد . وأقوال إنجازية ضمنية غير مباشرة فعلها غير ظاهر نحو: "الاجتهاد مفيد" : أقول الاجتهاد مفيد، أمرك أن تجتهد ونحو قوله تعالى: " وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور" ²¹
يرى أوستين (Austin) أنّ اللفظ الواحد يمكن أن يؤلف في الوقت ذاته ثلاثة أنواع من الأفعال : ²²

- الفعل القولي : وهو إنتاج قول ذي دلالة ينتظم في تركيب نحوي سليم .
- الفعل الإنجازي (الفعل المتضمن في القول) : و الذي يدل على عمل ، أي العمل الذي ينمّ عن الحديث و الذي يمارس قوة على المتخاطبين .
- الفعل التأثيري (الفعل الناتج عن القول) : يرى أوستين أنّه مع القيام بفعل القول و ما يصحبه من فعل متضمن في القول ، فقد يكون الشخص المتكلم قائماً بفعل ثالث و هو التسبب في نشوء آثار في المشاعر و الفكر ، ومن أمثلة تلك الآثار : الإقناع و الإرشاد.
- قدّم أوستين (Austin) تصنيفاً لأفعال الكلام على أساس قوتها الإنجازية وتشتمل على خمسة أصناف تدعى " بالقيم الإنجازية للتلفظ" وهي : ²³

- الأفعال الحكمية : وتتعلّق بما يصدر من أحكام و كذا بالصور التي تصدر فيها هذه الأحكام سواء كانت هذه الأخيرة نهائية أو تقديرية أو على صورة رأي ، وتشمل الأفعال الآتية: أقام ، صنّف ، امتاز ، أرّخ ، وصف ...
- الأفعال التنفيذية والتمرسية : وهي الأفعال المتمثلة في ممارسة السلطة التي تسمح بإصدار الأحكام وتشتمل : أمر ، طلب ، نصح ...
- الأفعال الوعدية: و هي الأفعال التي تدل على تعهّد المرسل و تكلفه بإنجاز شيء ما ، وتظهر أمثلة ذلك بوضوح في الأفعال الآتية : وعد أقسم ، نذر على نفسه ...

- الأفعال العرضية التعبيرية: و تستعمل هذه الأفعال عند القيام بالعرض لموقف ما و العمل على إقناع الغير به و تشمل الأفعال الآتية : أكد أنكر ، ألح ...
-الأفعال سلوكية : و تختص هذه الأفعال بما يبديه من تصرفات خاصة تفرضها الظروف و المواقف وتتمثل في: اعتذر، شكر، هنأ...

إنّ نظرية أفعال الكلام التي أرسى مبادئها " أوستين " (Austin) عرفت تعديلاً و تطويراً من طرف تلميذه " سيرل " (Searle) الذي أعاد اقتراح تقسيم آخر للأفعال الكلامية و ميّز بين أربعة أقسام هي :²⁴

- فعل التلفظ (الصوتي و الوصلي)

- الفعل القضوي (الإحالي و الجملي)

- الفعل الإنجازي

- الفعل التأثيري

يتمثل الفعل (أ) في التلفظ بالكلمات و الجمل ، الفعل (ب) يسمح بربط الصلة بين المتكلم (1) و المتكلم (2) و هذ يعني أننا نحيل على الأنا و الأنتم ، الفعل (ج) هو القصد المعبر عنه في القول ، والفعل (د) هو الأثر الناتج عن القول .
وسرعان ما أعاد سيرل (Searle) اقتراح خمسة أصناف لها هي:

-أفعال التأكيد: وتستعمل هذه الأفعال عند التأكيد أو التحقيق أو الإثبات لشيء ما من طرف المتكلم، حيث أن الهدف أو الغرض من مكونات القسم التأكيدي هو وضع مسؤولية المتكلم بدرجات مختلفة على مجموع الظروف الخاصة الموجودة، وعلى صحة القضية المعبر عنها.

-2أفعال التوجيه: إن الهدف من هذه الأفعال يتمثل في دعوة المستمع إلى فعل شيء ما ينتج عنه تعبير في سلوك مثل: أمر نهى، نصح.

-3أفعال الوعد: وغايتها إلزام المتكلم بالقيام بأفعال معينة مثل: وعد، القسم.

-4 أفعال التعبير : تتمثل في التعبير عن حالة نفسية محددة ضمن توفر شروط الصدق في مقابل ظروف محددة داخل المحتوى الخطابي.

-5أفعال الإخبار: هذه الفئة من التصنيف تؤسس للواقع في الوقت ذاته الذي تصفه فيه، فهدفها محل الواقع يطابق الخطاب، وجعل الخطاب يطابق الواقع في الوقت نفسه، وهي بذلك تجمع بين الأفعال التأكيدية والوعدية.

ميز سيرل (Searle) بين الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة، فالأفعال الإنجازية المباشرة هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم فما يقوله يكون مطابقا لما يعنيه، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم، ففي قولنا " جارتك أفعى " فإن المستمع هنا يلغي وجوب المعنى الحقيقي أي كون الجارة أفعى، ولا يحتفظ إلا بالمعنى المجازي باعتباره فعلا غير مباشر يؤدي معنى الحيلة من الشخص الموصوف .

المعلوم أن لفعل الكلام وظائف تداولية مرتبطة بقصد المخاطب من أهمها وظيفته الحجاجية التي تزيد من فاعليته الإنجازية التي أرادها أوستين (Austin) و سيرل (Searle) ، و الحجاج أحد الاستراتيجيات التي يتبناها المخاطب للتأثير و الإقناع ، فما هي منزلة الحجاج في التداولية ؟ وماهي آلياته التي تسمح باستقراء الطاقة الحجاجية الإقناعية في شعر محمد العيد آل خليفة؟

3- منزلة الحجاج في التداولية :يعدّ الحجاج نظرية غربية حديثة تناوله الدارسون من جوانب مختلفة أهمّها جانبها التداولي باعتبار أنّ التداولية هي الإطار العام التي تسير فيه هاته النظرية، و خير من يمثل هذا الجانب " أوزوالد ديكرود " Ducrot (Oswald) الذي أسّس ما يسمّى بنظرية الحجاج في اللغة في مؤلفه المشترك مع " أنسكومبر " (Anscombe) (المعنون بـ " الحجاج في اللغة" وهي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية و بإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفّر عليها المتكلم وذلك قصد توجيه خطابه وجهة تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية كما أنّها تتطّلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها : " أنّنا نتكلّم عامة قصد التأثير " ، حيث يقول أبو بكر العزاوي : " أنّ هذه النظرية تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية"²⁵ ، و قد انبثقت هذه النظرية من صلب نظرية " أفعال الكلام " التي قدّمها أوستين (Austin) و سيرل (Searle) و اللذان بيّنا أنّ اللغة ليست نظاما من الأدلة فحسب ، بل هي أيضا فعل كلامي، ينجزه المتكلم بغية تغيير معيّن في سلوك مخاطبه إن بالفعل أو بالكلام . وقد قام ديكرود (Ducrot) بتطوير آرائهما المتعلقة بأفعال الكلام فأضاف فعلين آخرين هما : فعل الحجاج و فعل الاقتضاء²⁶، ومنه عرّف ديكرود (Ducrot) الإنجاز : " بأنّه فعل لغوي موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية ، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معيّنًا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير عليه الحوار"²⁷، وقد عرّف الحجاج على النحو الآتي : " يقوم المتكلم بفعل الحجاج عندما يقدم قولاً (ق1) (أو مجموعة الأقوال) يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2) (أو مجموعة أقوال أخرى) "²⁸، وفي موضع آخر يقول : " عندما نتحدّث عن الحجاج نرجع دائما إلى خطاب مركّب على الأقل من (ق1) يعطي أحدهما للتصريح و التدليل على القول الآخر باعتبار (ق1) حجة و (ق2) نتيجة فالقول (ق1) هو الحجة التي يصرّح بها المتكلم ، أمّا (ق2) فهي التي يستنتجها المستمع و هذه النتيجة تكون إما مصرّحا بها أو ضمنية"²⁹ لذلك فالحجاج عند ديكرود هو إنجاز لعمليين هما :

عمل التصريح بالحجة من ناحية و عمل الاستنتاج من ناحية أخرى سواء كانت النتيجة مصرحا بها أم ضمنية ، ويقدم مثالا على ما سبق ذكره بقوله : " الطقس جميل فلنخرج في نزهة "

ق1 ← الطقس جميل
ق2 ← فلنخرج في نزهة ← النتيجة

تعطى ق1 كسبب أو نتيجة لـ ق2 لأنّ الخروج في نزهة يوافقه صفاء الجو ، و عليه النتيجة (ق2) مصرّح بها و في المثال الآتي :

أ/ هل ترافقني لرؤية الفيلم ؟

ب/ لقد شاهدته.

هذا الحوار عبارة عن سلسلة تتكوّن من ق1 وق2 ، ونتيجة مضمرة ناتجة عن ق2 (الحجة) و التي تنطوي على الجواب الضمني "لا".

نستنتج إذا أن الحجاج عند ديكر و ينبنى على التصريح من جهة واستنتاج ما هو مضمر من جهة أخرى فالحجة قد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق والشئء نفسه بالنسبة للنتيجة والرابط الحجاجي الذي يربط بينهما، ويمكن تبيان ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

- أنا متعب إذن أنا بحاجة إلى الراحة.

- أنا متعب، أنا بحاجة إلى الراحة.

- أنا متعب.

- أنا بحاجة إلى الراحة. من خلال المقارنة بين هذه الأقوال، نجد أنه تم

التصريح بالحجة والرابط والنتيجة في المثال الأول، وتم التصريح بالحجة والنتيجة وأضمر الرابط في المثال الثاني، وفي المثال الثالث لم يصرح إلا بالحجة وأضمرت النتيجة، ونجد عكس ذلك في المثال الرابع حيث ذكرت

النتيجة وأضمرت الحجة، وتتسم الحجج اللغوية بعدة سمات هي كالآتي:³⁰

1- أنها سياقية : فالعنصر الدلالي يقدمه المتكلم بإعتباره يؤدي إلى عنصر

دلالي آخر، فإن السياق هو الذي يصيره حجة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية.

2- أنها نسبية : فلكل حجة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما لصالح

نتيجة معينة ويقدم خصمه حجة مضادة أقوى بكثير منها، فهناك الحجج القوية

والضعيفة والحجج الأقوى والأضعف.

3- أنها قابلة للإبطال. وتتمثل وظيفة الحجاج عند ديكر و (Ducrot) و زميله "

أنسكومبر" (Anscombe) في التوجيه الناتج عن القول وهو توجيه مزدوج يشمل

السامع والخطاب في آن واحد، فعندما نتكلم نسعى دوما للتأثير في السامع أو

إقناعه، أو أن يأتي بعمل ما، وهذا من خلال خطاب المرسل إليه، وهذا الخطاب

عبارة عن أقوال كل قول يؤدي بالضرورة إلى ظهور القول الآخر فمن بين أنواع

الحجج التي ذكرها طه عبد الرحمن الحجاج التوجيهي الذي عرفه بقوله : " هو

إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل علما بأن التوجيه هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره " ³¹ . ويعرفه في موضع آخر : " إن كل حجة موجهة هي دليل يأخذ بالفعالية الخطابية في تعلقها بالمتكلم والدليل على تعلق الحجة الموجهة بالمتكلم هو أنها تعد فعلا قصديا متميزا " ³² .

4-آليات الحجاج التداولي في شعر محمد العيد آل خليفة: (الجانب التطبيقي)
1/ الروابط و العوامل الحجاجية : لما كانت اللغة وظيفة حجاجية و كانت التسلسلات الخطابية محدّدة بواسطة بنية الأقوال اللغوية و بواسطة العناصر و المواد التي تمّ تشغيلها ، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج ، فالأمر يتعلق هنا بقضية الروابط و العوامل الحجاجية التي تعتبر المؤشر الأساسي و البارز وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشّره في بنية لغوية نفسها ، وتحتوي اللغة العربية على عدد كبير من الروابط و العوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية ، نذكر منها مايلي : لكن ، بل ، إذن ، حتى لأنّ ، بما أنّ ، مع ذلك ، ربّما ، تقريبا ، إنما ، ما ... إلخ ، و لقد اهتم ديكر و بظاهرة الروابط و العوامل الحجاجية نظرا لما تحدثه هذه الأخيرة من انسجام في الخطاب و قيادة المستمع إلى الاتجاه الذي يريده المتكلم و الإخضاع له ، تتمركز هذه الروابط أساسا في أبنية اللغة و هي على أشكال مختلفة ، كما قال " شكري مبخوت " : " إذا كانت الوجهة الحجاجية محدّدة بالبنية اللغوية فإنها تبرز في مكونات متنوعة و مستويات مختلفة من هذه البنية فبعض هذه المكونات يتعلق بمجموع الجملة أي هو عامل حجاجي في عبارة ديكر و ، فيقيدها بعد أن يتم الإسناد فيها ، و من هذا النوع نجد : النفي

و الاستثناء المفرغ و الشرط و الجزاء ، ونجد مكونات متنوعة من الجملة ، و من هذه الوحدات المعجمية حروف الاستئناف بمختلف معانيها و الأسوار (بعض ، كل جميع) و ما اتّصل بوظائف نحوية مخصوصة كحروف التعليل أو ما تمحّض لوظيفة من الوظائف قط و أبدا " ³³ فالأمر هنا يتعلق بصنفين من المؤشرات و الأدوات الحجاجية هما: الروابط الحجاجية و العوامل الحجاجية، فالروابط تربط بين قولين أو بين حجتين أو أكثر تسند لكل قول دورا محدّدا داخل الاستراتيجية العامّة و يمكن التمثيل للروابط بالأدوات الآتية: بل ، لكن ، حتى ، إذن ، لاسيما ، لأنّ بما أنّ ، إذ ، إذا ، الواو ، الفاء اللام ، كي ... إلخ ، أما العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة و ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج) و لكنها تقوم بحصر و تقيدد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما و تضمّ مقولة العوامل و الأدوات من قبيل :

ربّما ، تقريبا ، كاد ، قليلا ، كثيرا ، ما ... إلخ ³⁴ .
أما فيما يخصّ الروابط الحجاجية فقد ميّز أبو بكر العزاوي بين أنماط عديدة منها ³⁵ أ- الروابط المدرجة للحجج (حتى ، بل ، لكن ، مع ذلك ، لأن) ، والروابط المدرجة للنتائج (إذن ، لهذا وبالتالي)
ب- روابط التعارض الحجاجي (بل ، لكن ، مع ذلك) وروابط التساوق الحجاجي (حتى ، ولا سيما)

- الروابط الحجاجية: وديوان محمد العيد يحتوي على مجموعة من الروابط سنقتصر على البعض منها و ندرس استعمالاتها الحجاجية فقط دون اللجوء إلى جوانب أخرى (التركيبية ، الدلالية و المعجمية) ويمكن أن ندرس هذه الروابط الحجاجية وفق الأنماط التي ميّزها أبو بكر العزاوي .

1- الروابط المدرجة للحجج:

أ- الرّابطة الحجاجي لام التعليل : تعدّ لام التعليل من الروابط الحجاجية التي تربط بين النتيجة و الحجة و التي تستخدم لدعم و تبرير النتيجة ، يقول محمد العيد في قصيدته : " صدى الصحراء" :³⁶

أففقوا فهذا الدّين بين ربوعكم	تنازله الأحداث شرّ نـزال
تحاول نكباء الضلالة نسفه	وترميه أشلاء الرّدى بنـبال
فقوموا مقامات الدّفاع حياله	ليأمن هذا الدين كل ضلال

النتيجة: الدّفاع عن الدين و حمايته من كلّ ضلالة

الرّابط الحجاجي : لام التعليل

الحجة: يأمن الدين من كل ضلال.

فالرابط الحجاجي جاء هنا لتبرير النتيجة وتعليلها، ومفادها أن ندافع عن الدّين ونحميه

ليأمن من كل ضلال

يقول أيضا في قصيدته " و يخلد الإسلام" :

علموا البنّت ما به تحصن النّفـ _____
سَ لينكفّ عن أذاها اللّـ _____ ثام

النتيجة : تعليم البنّت ما تحصن به نفسها.

الرّابط الحجاجي : لام التعليل.

الحجة : ينكفّ عن أذيتها اللّثام .

ب- الرّابط الحجاجي "لأنّ": يعتبر الرّابط الحجاجي "لأنّ" من أهم ألفاظ التعليل و يستعمل لتبرير الفعل ، و هذا الرّابط لم نجده بكثرة في ديوان محمد العيد آل خليفة ، يقول في قصيدته " صدى الصحراء":

وكنت صدى الصحراء أدعى لأنّني	بسطت على الصّحراء نور هلالني
وواليت بالإرشاد رفع عقيرتي	عسى أن يهبّ النّائمون حيالي

النتيجة : تسمية الجريدة بصدى الصحراء .

الرّابط الحجاجي : لأنّ

الحجة : بسطت على الصحراء نور هلالها من خلال إرشاداتها التي تسعى لتوقظ الشعب من سباته .

من خلال تحليلنا لبعض الروابط المدرجة للحجج نستنتج أنها تأتي مباشرة بعد طرح النتيجة و ذلك لتفسير و تعليل و تدعيم هذه النتيجة أو هذا الطرح .

2- الروابط المدرجة للنتائج:

أ- الرّابط الحجاجي "إذن": تعمل إذن حجاجيا وذلك بربطها بين الحجة والنتيجة أي أنها تدرج بعدها النتيجة

و يقول محمد العيد في قصيدته " كلام الناس ":

كلام الناس يكلم كل عــــرض
يعرّضه أخوه للاثــــام
إذن حسبي و حسبك من بعــــيد
مبادلة التحية و الســــلام
الحجة: كلام الناس يفتك بكل عرض ويعرض للآثام
الرابط الحجاجي : إذن

النتيجة: تجنب الناس و الاكتفاء بمبادلة التحية و السلام.

ب- الرابط الحجاجي (لذا) : تعمل لذا حجاجيا وذلك بربطها بين الحجة و النتيجة
يقول الشاعر محمد العيد في قصيدته " زلزال الأصنام " :

ولعل فيها عبرة لذوي النــــهــــى وهدى بقي النّفس اللّجوج ضلالها
فالنّفس لم تترك غرائز خبيثــــها والأدمية لم تدع صلصالها
و بنو الجزائر في سفاسف عيشهم خلف اللّذائذ ينشدون وصالها
ترجو الجزائر أن تتاضل حرّة عن حقها فيعرقلون نضالها
و تحوّلت حكامها ظلامها و تبدلت أنصارها خذالها
فلذاك أنذرنا الإله

الحجة الأولى (ح1): اتّباع لذات الدّنيا و شهواتها

الحجة الثانية (ح2): عرقلة نضال الجزائر و تحوّل الحكّام إلى ظلام و الأنصار إلى أعداء
النتيجة: إنذار الإله برجّة أرضية تكون عبرة لكل من فرط في حدود الله و اتّبع شهوات
الدّنيا و لذاتها

-3-1 روابط التّعارض الحجاجي :

- الرّابط الحجاجي "لكن":

قدّم أبو بكر العزاوي مجموعة من الأمثلة يوضّح بها الرابط الحجاجي "لكن":

1- ألا إنّ وعد الله حق و لكن أكثرهم لا يعلمون .

2- إنّ الله لذو فضل على الناس و لكن أكثرهم لا يشكرون .

3- ليس العلم أحمر و لكنه أخضر .

4- جاء علي لكن زيد .

إنّ الوصف الحجاجي الذي يقدّمه أصحاب النّظريّة الحجاجية للأداة "mais" أو لما يقابلها
من الأدوات و الرّوابط الحجاجية في اللّغات الأخرى في حال استعمالها للحجاج يمكن
تلخيصه كما يلي : إنّ التلفظ بأقوال من نمط (أ) لكن (ب) يستلزم أمرين اثنين:

1- أنّ المتكلم يقدّم (أ) و (ب) باعتبارهما حجتين ، الحجة الأولى موجّهة نحو نتيجة
معينة (ن) و الحجة الثانية موجّهة نحو النتيجة المضادة لها (لا-ن).

2- أنّ المتكلم يقدّم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى ، وباعتبارها توجّه القول أو
الخطاب برمّته .

وإذا عدنا إلى المثال الأوّل ، فسنجد أنّ "لكن" الواردة فيه هي "لكن" الحجاجية ، فهناك
التّعارض الحجاجي بين ما يتقدّم الرّابط و بين ما يتلوّه ، فالقسم الأوّل من الآية (إنّ
وعد الله حق) يتضمّن حجة تخدم نتيجة من قبيل : " سيقوم الناس بالواجب " أو
سيطيعون و يتقون " ، و القسم الثاني من الآية (أكثرهم لا يعلمون) يتضمّن حجة تخدم
نتيجة مضادة للنتيجة السابقة (لا-ن) : " الناس غافلون " أو " لن يطيعوا ربهم و لن يتقوه
" ، وبما أنّ الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى فإنّها ستوجه القول بمجمله نحو النتيجة
(لا-ن).

و الشيء نفسه في المثال الثاني ، فالحجة المتضمنة في الجزء الأول من الآية " إن الله لذو فضل على الناس" موجهة لصالح النتيجة من النمط : "سيشكر الناس ربهم "أو " سيعترفون بالجميل" و بما أن الواقع هو بخلاف ذلك ، فقد جاء القسم الثاني من الآية : " أكثرهم لا يشكرون" متضمنا لحجة تخدم النتيجة المضادة (لا- ن) أما في المثالين الأخيرين فلا نجد فيهما تعارضا حجاجيا ، فهما يشتملان على تعارض و لكنه غير حجاجي بل إبطالي . و سنحاول أن نسقط هذه الدراسة على ديوان محمد العيد الذي لا يخلو منها ، يقول محمد العيد في قصيدته " بلادنا أسيرة":

أزرى بنا الدلّ يا خليلي	فهل إلى العزّ من سبيل ؟
بلادنا أصبحت ذلولاً	أسيرة في يد الدّخيل
وحكمنا اليوم شرّ حكم	وجيلنا اليوم شرّ جيل
متى نرى قائداً حكيماً	يبين عن رأيه النبيل
أنرتجي للهدى وصولا	و نحن ركب بلا دليل
لكن سنسعى برغم هذا	لردّ سلطاننا الجليل
لا تحسبوا رده بعيداً	فإنّه غير مستحيل

فالحجة التي تتقدّم الرابط الحجاجي " لكن " (البلاد ركب بلا دليل و لا قائد حكيم) تخدم النتيجة الآتية (ن) " البلاد ستظل أسيرة في يد الدّخيل " ، أما الحجة الثانية التي تلي الرابط (سنسعى لردّ سلطان البلاد و عزّه) تخدم النتيجة المضادة للنتيجة السابقة (لا- ن) : " البلاد ستحرّر و ستسترجع عزّها و سلطانها " والحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى و معارضة لها ، فتكون النتيجة المضادة هي النتيجة التي يؤول إليها الكلام برمته

1-4 - روابط التساوق الحجاجي:

- الرّابط الحجاجي "حتى":

لقد قدّم كل من ديكر و أنسكومبر وصفا للأداة "mais" المقابلة لحتى الحجاجية في اللغة العربية ، لذلك أقرّا بأن الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة أي أنها تخدم نتيجة واحدة و الحجة التي ترد بعد هذا الرّابط تكون هي الأقوى ، لذلك فإنّ القول المشتمل على الأداة "حتى" لا يقبل الإبطال و التعارض الحجاجي

و ديوان محمد العيد آل خليفة يتوقّف على هذا النوع من الروابط الحجاجية ، وسوف نبرز هذا من خلال بعض النماذج الشعرية ، يقول في بيتين له من قصيدته " عيد الحرم " :

ياقوم طال بنا الهوا ن وساعنا سفع اللمم
وغدت تخاف نفوسنا حتى الذباب إذا ونمم

فالرابط الحجاجي في البيت الأخير "حتى" ربط بين حجتين هما :

الحجة الأولى (ح1): الأنفس خائفة

الحجة الثانية (ح2): الأنفس تخاف الذباب إذا ونم .

فهاتان الحجتان سواء الواردة قبل "حتى" أو بعدها تستخدم لنتيجة واحدة من قبيل : ضعف الشعب وهوانه وقد جاءتا متساوئتين لخدمة تلك النتيجة ، و الحجة التي تلي الرابط هي الحجة الأقوى لأنها زادت في تأكيد الحجة السابقة .

5- حروف العطف : إضافة إلى الروابط الحجاجية التي ذكرناها آنفا هناك روابط حجاجية أخرى تقوم بالربط بين الحجج و التنسيق بينها ، وهي حروف العطف :

-الرابط الحجاجي الواو:

يستعمل الواو حجاجيا وذلك بترتيبه للحجج ووصل بعضها ببعض ، بل و تقوي كل حجة منها الأخرى وتعمل على الربط النسقي أفقيا على عكس السلم الحجاجي . يقول الشاعر في قصيدته " ويخلد الإسلام " :

فرط الناس في الحدود فأمسست تتبارى في دوسها الأقدام
نشر الكفر في حمى الدن ذكررا ه و أحيت عهدا الأصنام
وغدا البغي ظافرا حوله الجن د عزيزا تطله الأعلام
وفشا الزور و القمار على الأر ض و راج الخنا بها والمدام
و استطار الفساد واستفحل الش ر وعم الأذى و طم الخصام
فالرابط الحجاجي الواو قام بالوصل بين الحجج ، وقام كذلك بترتيبها لتقوية النتيجة المطروحة و دعمها وهي : تفريط الناس في الحدود وتتمثل هذه الحجج فيما يلي :

الحجة الأولى (ح1): نشر الكفر

الحجة الثانية (ح2): نشر البغي و الظلم

الحجة الثالثة (ح3): فشو الزور و القمار و الكلام الفاحش

الحجة الرابعة (ح4): انتشار الفساد واستفحال الشر و كثرة الأذى و الخصام.

ب- الرابط الحجاجي الفاء :

ومن حروف العطف التي تستعمل استعمالا حجاجيا الفاء التي وظيفتها الجمع بين قضيتين غير متباعدتين يقول الشاعر في قصيدته " ويخلد الإسلام " :

علموا أبناء الجزائر فالعلم م دليل لخيرها و زمام
علموها ديننا من الله سمحا ليس فيه إصر و لا إرغام
بثه في الورى رسول أمين منقذ للورى رؤوف همام
جاء و الناس في ضلال و زيغ فهداهم صراطه فاستقاموا

يدعو الشاعر في هذه الأبيات إلى تعليم أبناء الجزائر لأن العلم دليل لكل خير ، كما دعا إلى تعليمهم الدين الذي بثه في الورى رسول أمين و الذي أخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، فهداهم إلى صراطه فاستقاموا ، ونجد في الشطر الثاني من البيت الأخير أن الفاء استعملت استعمالا حجاجيا و هي الجمع بين قضيتين غير متباعدتين ، جاءت بين الهداية و الاستقامة ذلك أن الاستقامة تأتي بعد الهداية مباشرة .

ج- الرابط الحجاجي ثم:

يقول الشاعر في قصيدته " تحية الشهاب للشباب " :

يا شباب العلى اعتصم بالتأخي زانك الله في العلى من شباب
انشر السنة الكريمة و اعمل بهداها وخذ بحد الكتاب
إن تكن قد بنيت في الناس مجدا فاحرس المجد من دواعي الخراب
و إذا ما أردت تثقيف نشء فارق بالنشء سلم الاكتساب
ثم لا تبتئس إذا قيل إننا طوحتنا طوائح الاضطراب

يدعو الشاعر الشباب في هذه الأبيات إلى التأخي و الاعتصام بكتاب الله و سنة نبيه ، امتطاء سلم المجد تثقيف النشء ، كما دعاه إلى التفاؤل لأن الثمار التي سيجنيها من عمله المضني قد يستغرق مدة من الزمن فاستعمل الرابط الحجاجي "ثم" التي وظيفتها الجمع بين قضيتين

متباعدتين لأنّه قد تصادفه مشاكل و أزمات تعيقه في الوصول إلى الهدف المرجو تحقيقه فينبغي ألاّ يتشام و يبتئس.

نستنتج مما سبق أنّ حروف العطف لا تقتصر فقط على عملها النحوي بل لها قيمة حجاجية عالية من خلال الرّبط و الوصل بين الحجج و القضايا ، وقد اعتمدنا هذه الروابط (الروابط المدرجة للحجج ، الروابط المدرجة للنتائج ، روابط التعارض الحجاجي ، روابط التساوق الحجاجي ، حروف العطف) نظرا لـ:

1- علاقتها الواضحة مع المعنى سواء كان ضمنيا أو صريحا و ذلك ليصل محمد العيد إلى أغراضه

2- القيم الحجاجية التي تحملها ولقد اقتصرنا على الاستعمالات الحجاجية فقط لهذه الروابط بصرف النظر عن استعمالاتها الأخرى .

ب- العوامل الحجاجية : رأينا سابقا أنّ الروابط الحجاجية تقوم بالربط بين

ملفوظين ، في المقابل نجد أنّ العوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات

حجاجية فهي تقوم بحصر و تقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما ،

ومن العوامل الحجاجية نجد : ربّما ، تقريبا ، كاد ، قليلا ، كثيرا ، لا...إلا ،

و سنقتصر في دراستنا على عاملين حجاجيين هما : "ربّما" و "لا...إلا"

1-2 - العامل الحجاجي "ربّما" :

هناك أقوال لا يمكن أن نستنتج قيمتها الحجاجية انطلاقا من محتواها الإخباري لنفرض

أن "ق" قضية لها طابع إثباتي ، و "ح" الحدث أو الواقعة الموصوفة داخل "ق" إن التأليف

بين "ق" و ربّما أي "ربّما ق" يسمح من وجهة نظر إخبارية إعلامية بالإمكانيتين "ح" و

لا-ح" ، ويمكن تبيينه بهذا الشكل :

ق = "ح"

ربما ق = "ح" أو "لا-ح"

و الفرق بينهما أن "ق" قضية تتضمن واقعة أو حدثا واقعا بالفعل ، في حين أنّ "ربما ق"

قضية تتضمن واقعة قد تحصل أو لا تحصل و يمكن توضيحه من خلال الحوار الآتي :

أ- لديّ مشكل ، ربّما حضر زيد للعشاء هذا المساء .

ب- إذا حضرت سنضيف صحنًا وإذا لم يحضر فليس هناك أي مشكل .

في هذا المحتوى الإخباري للقول احتمالان و اردان: حضور زيد أو عدم حضوره، إلا

أن في الواقع فإن النتائج الممكنة الوحيدة التي يمكن استنتاجها من "ربما + ق" هي

المتعلقة بتحقق "ح" و ليس بتحقق "لا-ح".

ج- ضع صحنًا إضافيًا على المائدة ربّما حضر زيد لتناول العشاء معنا هذا المساء.

د- لا تضع صحنًا إضافيًا على المائدة، ربما حضر زيد لتناول العشاء معنا هذا المساء

فإذا كان المثالان السابقان يتضمنان نفس المحتوى الإخباري (ح أو لا-ح) فإنهما مختلفان

من الناحية الحجاجية ولهذا كان القول الأول سليما و كان الثاني غير سليم ، فمن الناحية

الإخبارية نجد أن الجملة السابقة تحتل نتيجتين معا ، و لكنّها من الناحية الحجاجية لا

تقبل إلا نمطا واحدا من النتائج أي لا تقبل إلا النتيجة التي تسير في اتجاه تحقق الحدث

أو الواقعة ، فـ "ربّما حصل ح" تتسجم مع حصل "ح" و لهما نفس الوجهة الحجاجية

، و يمكن تبيان ذلك من الديوان يقول الشاعر في قصيدته " في أذن الشرق" :

نتواصي بالحق و الصبر فيه
ربما تتجلى الشدائد عنا

و التواصي تضامن و جهاد
بالتواصي و تنقضي الأنكاد

فالشاعر في هذين البيتين يدعو إلى التواصي بالحق و الصبر لأن التواصي تضامن و جهاد ، موظفا عاملا حجاجيا في البيت الثاني : "ربما تتجلى الشدائد عنا بالتواصي و تنقضي الأنكاد " ، وإذا حللنا هذا القول حجاجيا فإننا نجد أن الحجة " ربما تتجلى الشدائد عنا بالتواصي و تنقضي الأنكاد " تسير في الاتجاه نفسه مع الحجة : " تتجلى الشدائد بالتواصي و تنقضي الأنكاد " حيث يخدمان نفس النتيجة و التي تكون من قبيل : "بعد الشدة يأتي الفرج و الصبر مفتاح كل فرج" .

2-2 - العامل الحجاجي (لا...إلا) :

و من أمثلة ذلك من الديوان ، قول الشاعر في قصيدته " منظر تاعس ناعس " :
و النفس فيهم حكمت فهي لا تفتأ تدعوهم إلى كل عذاب
أما إذا أمعنت في مكرهم فإنه و الله شيء عجـاب
مكر يحاكي الصدق في وضعه و باطل منهم يحاكي الصواب
لولا الهدى من بعض أهل الهدى أقسمت ما في الناس إلا الذئاب
نجد العامل الحجاجي في الشطر الثاني من البيت الأخير " أقسمت ما في الناس إلا الذئاب " و إذا حللنا هذا القول حجاجيا فإننا نجد أن الحجة : " ما في الناس إلا الذئاب " تسير في الاتجاه نفسه مع الحجة الآتية : " الناس ذئاب " ، و هاتان الحجتان تخدمان نتيجة ضمنية مفادها : " اتصاف الناس بالمكر و الخداع" .
بعد تحليلنا لبعض الروابط و العوامل الحجاجية سننتقل إلى تبيان حجاجية بعض الأفعال اللغوية مقتصرين في ذلك على الاستفهام و الأمر و النهي لنرى كيف تعمل هذه الأفعال حجاجيا .

2- حجاجية الفعل الكلامي: يتضمّن الكلام فعلا حجاجيا يكون ناتجا عن العلاقة التلازمية أو الاقتضائية بين أفعال الكلام التي ميّز "أوستين" بين ثلاثة أفعال منها : الفعل القولي و الفعل المتضمن في القول و الفعل الناتج عن القول ، وكنا قد أشرنا إليها سابقا لذلك يمكن مقابلة الأفعال اللغوية ببناء منطقي تحدّد ملامحه من خلال المقدّمة و العرض أو الإثبات ثمّ النتيجة .

و سوف نقوم في هذا المبحث بتحليل بعض النماذج الشعرية من ديوان " محمد العيد آل خليفة" الذي يتوفّر على مجموعة كبيرة من الأفعال اللغوية ، لكننا سنقتصر على ثلاثة أفعال لغوية و هي الاستفهام و الأمر و النهي لنقف عند الطاقة الحجاجية التي تحملها .

1-1 الاستفهام : و نجد فلاسفة اللغة (أوستين وسيرل) أدرجوه ضمن الأفعال الإنجازية ، و لكي تتضح الصورة أكثر نورد المثال الآتي من الديوان يقول محمد العيد في قصيدته " الترحيب بالحجاج":

لنا وطن مثل الفراديس بهجة	فكيف رضينا أن يداس وينهبها ؟
وكيف رضينا أن نعيش أدلة ضعافا	يرانا الغير أحقر من هـبـا؟
حيارى كقطعان جـفتها رعاتها	فأغرّت بها خصمين ذئبا و ثعلبا

نلاحظ أنّ الشاعر في هذه الأبيات يفتخر كونه ينتمي إلى وطن مثل هذا الوطن ، ثم نجده يتحسّر على الوضع الذي آل إليه من ذل و هوان ، وهذا ما تبيّنه الاستفهامات المتلاحقة.

الاستفهام الأول: كيف رضينا أن يداس و ينهبا ؟
الاستفهام الثاني: كيف رضينا أن نعيش أدلة ضعافا يرانا الغير أحقر من هبا ؟
في هذين الاستفهامين أنجز الشاعر ثلاثة أفعال لغوية :

الفعل الأول (الفعل القول) : يتجسّد في نطقه بالجملتين الاستفهاميتين .
الفعل الثاني (الفعل المتضمن في القول) : يتمثل في تحسّره على الوضع الذي آل إليه الوطن العربي من ذل و هوان هذا من ناحية ، و في لومه و عتابه لكل من رضي أن يعيش ذليلا من ناحية أخرى.

الفعل الثالث (الفعل الناتج عن القول) : ينجز عملا تأثيريا حجاجيا يتجلى في إقناع أبناء الوطن العربي بضرورة النهوض به و السعي لتطويره . كما أن هذين الاستفهامين يحملان افتراضات ضمنية غير مصرّح بها تجعله يحمل استفهاما حجاجيا الذي يقصد به : " نمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقا من قيمته الحجاجية "

ففي هذين الاستفهامين : كيف رضينا أن يداس و ينهبا ؟ و كيف رضينا أن نعيش أدلة ضعافا؟ يمكن اعتبارهما حجة تخدم نتيجة من قبيل : ذل و هوان الوطن العربي و ضعف أبنائه ، و بذلك ينجز فعلا تأثيريا حجاجيا يتجلى في إقناع أبناء الوطن العربي بالسعي لتطويره و النهوض به ، و افتراض الضمني الذي يحمله هذان الاستفهامان و الذي يتحدد من خلاله العلاقات بين المتخاطبين يتمثل في كون الكل يعلم أن الوطن العربي يملك من الخيرات ما يجعله من أقوى الأوطان و أرقاها ، إلا أن أبنائه رضوا أن يداس و ينهب و رضوا أن يعيشوا ضعافا كقطعان تخرى عنها رعاتها فتتافس حولها خصمان الذئب و الثعلب ، إذا هذان الاستفهامان وجّها المتلقي إلى خيار واحد و هو السعي إلى ترقية البلاد و تطويره .

-2-1 الأمر : يعبّر الأمر من الأفعال الإنجازية يندرج ضمن أفعال التنفيذ بالنسبة لأوستين و المتمثل في ممارسة السلطة التي تسمح بإصدار الأحكام كما يندرج ضمن أفعال التوجيه بالنسبة لسيرل التي تتمثل في دعوة المستمع إلى فعل شيء ما ينتج عنه تغيير في سلوكه ، فهدفه توجيه المتلقي إلى سلوك معيّن .

ومن أمثلة ذلك من الديوان ، يقول محمد العيد في بيتين له من قصيدته " صدى الصحراء " :

أفيقوا فهذا الدين بين ربوعكم تنازله الأحداث شرّ نـزال
تحاول نكباء الضلالة نسـفه و ترميه أشلاء الردى بنـبال
-إذا تأملنا البيت الأول نجد الفعل اللغوي (أفيقوا) أمرا أصدره الشاعر ليدعو الشعب للاستيقاظ من سباته و الدفاع عن دينه ، فالشاعر في هذا الفعل اللغوي (أفيقوا) ينجز عملا قوليا و عملا متضمنا في القول يتمثل في أمر الشعب للاستيقاظ من سباته ، و الفعل الناتج عن القول :

في إقناع الشعب بضرورة الدفاع عن الدين و المحافظة عليه من كل أذى لأن هناك من يحاول نسفه و النيل منه و هي النتيجة الضمنية .

وفي موضع آخر يقول في قصيدة له بعنوان " تحية الشهاب للشباب " :

يا شباب العلى اعتصم بالتآخي زانك الله في العلى من شباب
انشر السنة الكريمة و اعمل بهداها و خذ بحدّ الكتاب

وردت في هذين البيتين أربعة أفعال لغوية جاءت على صيغة الأمر و تتمثل في :

1- اعتصم بالتآخي

2- انشر السنة الكريمة و اعمل بها

3- خذ بحدّ الكتاب

و الفعل الناتج عن القول يتجلى في دعوة الشباب لبناء مجتمع متماسك و مترابط و هي النتيجة الضمنية التي تدعّمها الحجج الصريحة الآتية : الاعتصام بالتآخي ، التمسك بدين الله و سنة نبيه و العمل على نشرهما .

1-3- النهي : النهي مثله مثل الأمر يندرج ضمن الأفعال الإنجازية التوجيهية ، ويمكن أن نمثل له من الديوان يقول الشاعر في بيتين له من قصيدته " تحية أيها النادي " :

ولا تبخلوا بالمال فالمال معرج إلى كلّ محل في المنازل معلّم
أرى أن حاجات الشعب جراحها و ليس لها من مرهم غير درهم
ينجز الشاعر في قوله : " (ولا تبخلوا بالمال) فعلا لغويا ورد على صيغة النهي و الذي يعتبر بدوره حجة صريحة لتحمل نتيجة ضمنية (الفعل الناتج عن القول) تتمثل في : إقناع الأغنياء بالجود و الكرم باعتبار المال مرهما يداوي جراح المعوزين و المحتاجين .

يقول الشاعر في بيتين له من قصيدته " ذكرى المؤتمر " :

يا شعب اجتنب حرب التعادي و خل اللغو فهو لها وقــــود

و لا تيأس من الفوز المرجى فقد يخضر بعد اليــــبس عود

إذا تأملنا البيت الثاني نجد الشاعر قد أنجز فعلا لغويا ورد على صيغة النهي (لا تيأس من الفوز المرجى) حجة تخدم نتيجة ضمنية مفادها التشاؤم يهدم كل مسعى وغاية فلا بدّ من التفاؤل ما دما في الحياة مستخدما فعلا لغويا غير مباشر وهي قوله : " فقد يخضر بعد اليبس عــــود " و التي يكنى بها عن الأمل .

الخاتمة :

و بذلك نكون قد وضعنا دراسة تطبيقية لأهم آلية من آليات المنهج التداولي و هو الحجاج حتى يتسنى للباحث الاهتداء به في مقاربته للخطاب الأدبي الذي يتضمن أبعادا حجاجية إقناعية ، و بالتالي تقريب الممارسة النقدية التداولية منه و فك الغموض الذي قد يشوب هذا المنهج في الأذهان و إقامة المواءمة بين المعطيات النظرية للمنهج التداولي و قسمه التطبيقي .

الهوامش :

- Jean debois et autres : Dictionnaire de linguistique , p388
- Dominique maingueneau :Aborder la linguistique , Edition du Seuil collections Mémo , paris , 1996,p29.
- فرانسواز أرمينيكو : المقاربة التداولية ، تر : سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، ص08.
- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
- CK Orecchioni : Enonciation de la subjectivité dans la langage ,Armand Colin paris ;1982,p185
- عمر بلخير :تحليل الخطاب المسرحي في ضوء التداولية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2009.ص09
- C K Orecchioni :Enociation de la subjectivité dans le langage,p185 .
- عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط1 2004. ص188.
- المرجع نفسه ، ص180.
- ذهبية حمو الحاج : لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، ص125.
- طه عبد الرحمن : اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء ، المغرب ، ص226.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، ص456
- طه عبد الرحمن :اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص226
- فرانسواز أرمينيكو : المقاربة التداولية ، ص08.
- Austin :quand dire c'est faire ,édition de seuil ,1970, p13-14 .
- فان دايك : علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، تر : محمد سعيد البحري ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2001، ص18.
- فان دايك: النص و السياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي ، تر : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، دط ، دت ، ص263.
- F . Recanati : La transparence et l'énonciation, édition du seuil,paris, 1979, p96
- خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، الحكمة ، الجزائر ، ط1 ، 2009 ، ص96
- سورة الحديد ، الآية 20.
- Austin : Quand dire c'est faire , p109-114.
- Ibid ,p155-160
- J.R.Searle : Les actes de langage , essai de philosophie du langage , collection savoir, lettre , hermann, paris , nouveau tirage , 1996,p60
- أبو بكر العزاوي : اللغة و الحجاج ، دار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2006.ص14.

- O. Ducrot : dire et ne pas dire , hermann , éditeur des sciences et des arts , paris 3éd, 1991 , p285
- Ibid ,p285-286
- O.Ducrot : L'Argumentation dans la langue, pierre Mardaga, éditeur,Bruxelle, 1983, p08.
- Ibid , p11.

- أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج ، ص20-19.
- طه عبد الرحمن : اللسان و الميزان ص 227.
- المرجع نفسه ، ص259.
- شكري ميخوت : الحجاج في اللغة ،، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمادي صمود ، جامعة الآداب و العلوم الإنسانية ، منوبة ، تونس ، دط ، دت . ص377.
- أبو بكر العزاوي : اللغة و الحجاج ، ص64.
- أبو بكر العزاوي : الحجاج و المعنى الحجاجي ، مقال ضمن كتاب التحايج (طبيعته ومجالاته و وظائفه) ، حمو نقاري ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية الرباط ، المغرب ، ط 1، 2006.ص66-65
- ديوان محمد العيد آل خليفة ، دار الهدى ، الجزائر ، دط ، 2010،ص19.
- الديوان ،ص166.
- الديوان ،ص18.
- الديوان ص325.
- الديوان ، ص68.
- أبو بكر العزاوي : اللغة و الحجاج ، ص57
- الديوان ، ص314.
- الديوان ، ص97.
- الديوان ،ص164-165
- الديوان ، ص167.
- الديوان ، ص84.
- أبو بكر العزاوي : الحجاج و المعنى الحجاجي ، ص75-74
- الديوان ، ص113.
- الديوان ، ص31.
- الديوان ،ص180-181.
- أبو بكر العزاوي : الخطاب و الحجاج ، الأحمديّة للنشر ، ط1، 2007، ص57.
- الديوان ،ص19.
- الديوان ، ص101.
- الديوان ، ص89.
- الديوان ، ص278.